إبدال التاء دالاً - واختلاف لهجات العرب فى ذلك

وتبدل التاء دالا فى مواضع:

١- إبدال واجب من صيغة «افتعل» من كل كلمة كانت فاؤها زايا بعدها دال.. وهذا مما لا يدخل فى موضوع حديثنا.

٢- إبدال جائز من:

أ- كل كلمة كانت على وزن «فَعْل» وعينها تاء ولامها دال، وذلك نحو: وتد فى لغة تميم، والأصل «فَعِل» فخففه بنو تميم بحذف كسرة التاء، وذلك شائع فى لغتهم، يقولون فى كبد: كبد، وفى فخذ: فخذ، وفى علم: علم، فاجتمع صوتان أحدهما شديد والآخر مجهور وشديد، فعمد بنو تميم إلى إبدال التاء دالا فرارا من تنافر الصوتين لاسيما وأن الدال أقرب الأصوات إلى التاء فى المخرج إذ هو نظير اللثوى المجهور الشديد ثم أدغموا طلبا للخفة.

ونلمس أثر البيئة واضحا فى الإبدال ثم الإدغام لدى بنى تميم فى «وتد» وأشباهه، فطبيعة البيئة التميمية طبيعة بدوية خشنة تدفع بصاحبها إلى رفع الصوت لذا فقد رغب عن التاء المهموسة إلى الدال المجهورة، ولا يعادل حرصه على اختيار الصوت المرتفع العالي إلا بميله الشديد إلى الاقتصاد فيه قدر الاستطاعة، ولما كانت الكسرة فى نحو: وتد تتطلب قدرا كبيرا فى المجهود العضلي إذ هي انتقال من مفتوح إلى مكسور رغب بنو تميم عن ذلك قصدا إلى التخفيف.

٣- وهناك من العرب من أبدل تاء ضمير الفاعل دالا، والضابط فى ذلك الإبدال كما قالوا: هو ما إذا كانت الزاى لاما قلبت تاء ضمير الفاعل دالا فقالوا فى فزت: فزد[١]، وحزد فى حزت وعزيت إلى بعض بنى تميم[٢].

وتعليل هذا الإبدال «إلى الدال من التاء» عند بنى تميم واضح، وهو يعود إلى أثر البيئة الجغرافية على ألسنة أبنائها -وقد سبق ذلك قريبا-... فقد نقل عن

(١) شرح الشافية ٣: ١٥٧.

(٢) نفسه والجزء والصفحة.

بعضهم أنهم قالوا: عـدّه فى عدته، وجلده فى جلدته، ونقدّه فى نقدته.. وذلك كله بناء على تشبيه تاء الإضمار ههنا بتاء افتعل لشدة الاتصال[1].

٤- ومن العرب من أبدل تـاء ضميـر الفاعل طاء، وذلك فى كل كلمـة كانت لامهـا صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء، فشـبّه بعضـهم تاء الضميـر بعدهن بهن فى افتعل لشدة اتصال تاء الضمير بالفعل كاتصال تاء الافتعال بما قبلها لأنه يبنى الفعل على التاء ويغير الفعل فتـسكن اللام لما أسكن الفاء فى افتعل ولـم تترك الفعل على حالة فى الإظهار فضارعت عندهم افتعل[2].

ومن ذلك قولهم: فحصت برجلى فى فحصت، وحصط عن الحق فى حصت، وأحط فى أحطت، وحفظط فى حفظت، وخبط برجلى فى خبطت برجلي.

قال سيبويه: وسمعناهم ينشدون البيت -وهو لعلقمة بن عبده:

وَفِى كُلِّ حَىٍّ قَـدْ خَـبَـطٌّ بِنِعْـمَـةٍ فَـحُقَّ لِشَـأْسٍ مِنْ نَدَاكَ نَدُوُب(*)

وقد ذكر أنه سـمعها ممن ترضى عربيـته، ولكنه لم ينسبها إلى أحـد من قبائل العرب[3].

ووصف بعض النحاة هذه اللهـجة بأنها ليست بالكثرة وعـزاها بعض المتأخرين منهم إلى بنى تميم، وإن كانوا قد وصفوها بالقلة والشذوذ أحيانا[4].

ولكن ورد في الصحاح:

فلان فى أسطمه قومـه: أى فى وسطهم، والجمع أساطم، ولكن تميم تقول: أساتم. وورد فى اللسان: أن أساتم تميمية[5].

---

(١) شرح الشافية ٣: ٢٠٢.

(٢) الكتاب ٢: ٤٢٣، شرح الشافية ٣: ٢٠٢.

(٣) الكتاب ٢: ٤٢٣. (٤) شرح الشافية ٣: ٢٠٢.

(٥) اللسان ١٥: ١٧٨ ط. بولاق.

(*) البيت من شـواهد سيبويه ٢: ٤٢٣ وما بعـدها وقد نسبه لعلـقمة الفحل، وهو كذلـك فى شرح أبيات سيبويه.. والقصيدة فى مدح الحارث بن أبى شمر الغسانى.

والذنوب: النصـيب. والندى: الجـود، وكان شـأس فى يديه أسـيرا وخـبطت بنعـمة: أصلهـا الطالب والمجتدى وهو وصف من قولهم يخبط المواضع التى يسير فـيها إلى من يرجوه ويأمل معروفه ويجوز أن يكون من قولهـم: خبطت الشجـرة إذا جمعت أغـصانهـا ثم ضربتهـا ليسقط ورقـها فـيعلف للإبل.. والشاهد: قلب تاء الفاعل التي هي ضمير المخاطب طاء لأجل الطاء التي قبلها.

فكيف يجمع بين النسبتين مع تضادهما؟. . وللتوفيق بينهما نقول:

إن تميم إنما تعمد إلى مثل ذلك القلب فى التاء طاء مع ضمير الفاعل إذا سبقت بصوت مفخم فقط وذلك تشبيها منهم لهذه التاء بتاء الافتعال إذا سبقت بصوت مفخم، وهو ظاهرة عامة فى الساميات[١]، أما فيما عدا ذلك فهى تبقى على صوت التاء دون إبدال.

وغير مستبعد أيضا أن يكون ما ذكر هو لغة لبعض التميميين وليس كلهم.

٥- ومن العرب من أبدل تاء ضمير الفاعل كافا[٢]، والظاهر من كلام النحاة الذين تعرضوا لهذه الظاهرة اللهجية أنها تختص بضمير الرفع البارز للمخاطب فحسب فيقولون: فعلك فى فعلت وقمكا فى قمت. . وهذا ما ذهب إليه بعض النحاة[٣].

قال أبو زيد: وأنشدنى المفضل لرجل من حمير:

يا ابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكا. وَطَالَمَا عَنَّيْتَنَا إلَيْكَا. لِنَضْرِبَنْ بِسَيْفِنَا قَفَيْكَا(*).

أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس، وكان سحيم إذا أنشد شعرا جيدا قال: أحسنك والله يريد أحسنت[٤]. وهذا أمر يتفق عليه معظم النحاة إلا ما كان من ابن مالك وأبي الحسن الأخفش فى أحد قوليه حيث قال: إن شئت قلت: أبدل من التاء الكاف لاجتماعهما معا فى الهمس.

---

(١) د. صلاح الدين حسنين - الأصوات العربية- مجلة الدارة ع٤ ص ٦ شعبان ١٤٠١هـ - ص ١٥٢.

(٢) شرح السيرافى: مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة الإمام المركزية برقم ٢٠٥ نحو.

(٣) نفسه، البارع فى اللغة ٨٧ - مخطوطة مصورة بمكتبة كلية اللغة العربية رقم ٨ نحو.

(٤) النوادر ١٠٥، سر الصناعة ٣: ٢٨١.

(*) أورد أبو زيد هذا الرجز فى نوادره عن المفضل وقد نسبه إلى رجل من حمير، وأنشده ابن جني في سر الصناعة ١: ٢٨١، وابن هشام فى المغني: ١: ١٥٣، وورد في البارع ٨٧ وغيرها،وقد قال هذا الرجز في عبدالله بن الزبير حواري رسول الله ﷺ.

وعنيتنا: أتعبتنا، والقفا: مؤخر العنق. . والشاهد فى عصيكا: على أنه قد جاء في الشعر قلب التاء كافا.

وإن شئت قلت: أوقع الكاف من موضعها وإن كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا الفاعل لإقامة القافية، ألا تراهم يقولون: رأيتك أنت، ومررت به هو، فيجعل علامات الضمير المختص بها الأنواع فى أكثر الأمر موقع الآخر، ومن ثم جاء لولاك وإنما ذلك لأن الاسم لا يصاغ معربا وإنما يستحق الإعراب بالعامل[1] وقد رد ذلك ابن هشام محتجا: بأن إنابة ضمير عن ضمير إنما ثبت فى المنفصل ما أنا كأنت ولا أنت كأنا.

وأما قول الشاعر السابق فإن الكاف فى «عصيكا» بدل من التاء بدلا تصريفيا لا من إنابة ضمير عن ضمير كما ظن ابن مالك[2].

ومن ظاهر نسبة هذه الأبيات إلى رجل من حمير[3] أن هذا الإبدال شائع فى لهجة قوم هذا الرجل.

ويبدو من تعقيب البغدادى على هذه الظاهرة أنها قد وجدت فى منطق قوم كانوا يرتضخون لكنةً حبشية كما هو حال سحيم المذكور آنفا، وهذا ما يقوي - عندي- عزوها إلى حمير لاسيما إذا علمنا عمق صلة اليمنيين بإخوانهم من سكان الأمم المجاورة ومنها الحبشة، وإذا صح هذا فلا وجه لقول أبي الحسن الأخفش بأنه قد أنيبت الكاف ههنا عن التاء لاستقامة القافية، ومما يدحض هذه الدعوى ورود هذا الإبدال فيما ليس له صلة بالقافية، فقد نقل البغدادي رواية الزجاجي لهذه الأبيات فقال: وأما الزجاجي فإنه رواه في آخر أماليه الكبرى على خلاف هذه الرواية -يقصد ما أنشدناه عليها فقال: باب التاء والكاف فى المكني يقال: ما فعلت وما فعلك.

قال الراجز:

يا ابْنَ الزّبيرِ طَالَمَا عَصيْكَا وطَالَمَا عنيَّكْنَا إليكَا

لِنَضْرِبَنْ بسيفِنَا قَفَيْكَا[4]

(١) الخزانة ٢: ٢٥٧.
(٢) المغني ١: ١٥٣.
(٣) النوادر ١٠٥.
(٤) الخزانة ٢: ٢٥٧، شرح السيرافي ٢: مصورة بمكتبة جامعة الإمام برقم ٢٠٥ نحو.

٦- وقد تبدل من الثاء فى لهجات بعض القبائل العربية والنحاة وقد حصروه فى موضعين:

١- إبدال قياسي مطرد، وذلك فيما إذا كانت الثاء فاء لـ «افتعل» ومما تصرف منه، فحينئذ تقلب الثاء تاء وتدغم فى التاء كاترد ومترد واتراد فى ثرد والأصل: اثترد، ومثترد، واثتراد.. إلخ[١].

هذا هوالمشهور فى الاستعمال وهوأيضا القوي فى القياس[٢]، وسنتحدث عنه في باب الإدغام.

٢- إبدال جائز غير مقيس عندهم، وإنما يقتصر فيه على وروده عن بعض العرب كاستعمال خاص بهم، وقد جاء ذلك في كثير من الحروف كقولهم في ثوم: توم، وفى المبعوث: مبعوت، وفى الخبيث: الخبيت.

قال أبو زيد: وحدثنى شيخ من البصريين عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي قال: أنشدت الخليل بن أحمد قول السموأل:

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث[*].

ويرى أن الخليل قال للأصمعى: لم قال الخبيت؟

فقال: هذه لغة لليهود يجعلون مكان الثاء تاء فقال له الخليل: فلم لم يقولوا: الكثير بالتاء؟ فسكت الأصمعى، إذ لم يكن عنده فيه شيء[٣].

---

(١) سر الصناعة ١: ١٨٩. (٢) نفسه ١: ١٩٠.

(٣) النوادر ١٠٤، شرح السرافى نسخة مصورة برقم ٢٠٥ نحو، جامعة الإمام محمد بن سعود.

(*) نسب هذا البيت للسموأل بن عادياء اليهودي حسب رواية أبى زيد في النوادر: ١٠٤ والأصمعيات ٢: ٥٧ وما بعدها ط دار المعارف، وورد في المخصص ٣١: ٩٥.

وشرح السيرافى لكتاب سيبويه، مخطوط مصور برقم ٢٠٥ فى مكتبة جامعة الإمام نحو. لكنه غير منسوب فيهما إلى أحد. والطيب: خلاف الخبيث، وأصل حك: قشر، والمستميت: مستفعل من مات، والشاهد في الخبيت: وأصله الخبيث فقلب الشاعر هذه الثاء تاء في لغة عزيت لقوم الشاعر من اليهود. والخبيت: الحقير الردىء، والرزق: اسم للمرزوق.

والشاهد فى الخبيت حيث أبدل الثاء تاء لقرب مخرج الصوتين وإن كان صوت التاء أشد من صوت الثاء الرخو ولذلك مالوا إلى الشديد قصدا إلى الوضوح.

وشكك بعض الباحثين المحدثين فى هذه الظاهرة، وقال من قال: بأن الأصمعي قد صحف وذهب إلى أصلية التاء[1].

وأرى أنه لا داعي إلى أكثر ما أورده فى التأكيد على ذلك التشكيك فالمعنى اللغوي لكلمة: الخبيت بالتاء - الحقير الرديء، وهذا موجود في لسان العرب وهو يعني ما أراده منه اليهود في لغتهم الخاصة بهم كما في بيت السموأل إضافة إلى أن في البيت ما يثبت ذلك، وهي تلك المقابلة بين الطيب والخبيث.

ولا ريب في أن الأصمعى كان حافظا ثقة ولم يكن لينقل إلا ما تأكد له صحته وإلا لقلب الثاء في الكثير تاء أيضا ولكن توقف عند ما سئل -كما نصت الرواية على ذلك

ومما يعزز هذه الظاهرة قول السموأل نفسه:

وأتتني الأنباء أني إذا مامت أو رم أعظمي مبعوت(*).

وأصلها: مبعوث بالثاء[2].

وليس لهم في رد الخليل على الأصمعى تعميم ذلك القلب أي متمسك، فالخليل لم ينكر هذه اللغة ولا على الأصمعي روايته وإنما أنكر ذلك التعميم بدليل ما رواه ابن سيده إذ قال: قال أبو سعيد السيرافي:

الخبيت لغة قريظة والنضير، ومنه قول اليهودي:

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت.

قال: وقال الخليل للأصمعى: ما الخبيت ههنا؟ قال: الخبيث ومن لغته أن يبدل الثاء تاء فعممت بالبدل ولو كان ذلك للزمه أن يقول:

---

(١) اللهجات العربية فى التراث ٣٣٧.

(٢) الأصمعيات: ٢: ٧٥-دار المعارف.

(*) البيت قد نسب للسموأل من قصيدة رأيتها فى الأصمعيات ٢: ٧٥ وما بعدها. ط دار المعارف بمصر. ورم أعظمى: بليت عظامى فصارت رمة.

ومبعوت: هى مبعث قلبت الثاء تاء وهو الشاهد.

obeikandl.com

الكتير فى الكثير، وأنت ترويه الكثير، وإنما الجيد أن تقول: يبدلون الثاء تاء فى أحرف منها الخبيث[1].

ولا يمكن أن ينكر ذلك أو ينسب إلى الخليل أنه شك فى الرواية إلا من لم يطلع على ما ورد ههنا، إضافة إلى أن النقل عن بعض العرب أثبت شيوع ذلك القلب فى ألفاظ غير الخبيث.

حكى أبو مضر:

رتم أنفه رتما، ورثمه رثمًا كسره.

ولا نرى أي مبرر لوجود مثل هذا الإبدال على ألسنة بني قريظة والنضير فطبيعة بيئتهم الحضرية لا تغريهم بمثل هذا الإبدال إذ نعتقد أن وضع بيئتهم المتحضرة يدعوهم إلى التأني فى النطق وإعطاء الصوت حقه في الأداء وهو ما يتطلبه النطق بصوت «الثاء».

غير أنني أظن أن ذلك إنما أتاهم من قبل أن أبناء هاتين القبيلتين من أبناء يهود كانوا على صلة بأبناء المناطق المتاخمة للبلاد الآرامية وبلاد الأنباط حيث ينقل عنهم تصوير الثاء العربية تاء يونانية نحو حارتة بدلا من حارثة، ومغيت بدلا من مغيث.. إلخ.

فلعله قد سرى فى كلامهم واعتادته ألسنتهم وصار سمة لهجية لهم.

٧- وقد تبدل من السين أيضا، وأورد سيبويه على هذا الإبدال قولهم: ست، وأصلها: سدس، وقول بعضهم: استخذ فلان أرضا يريد اتخذ أرضا، وقد قال فى تعليل ذلك: أما في ست فإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله فى كلامهم أن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوي، والحاجز أيضا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا فتلتقي السينات ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا وذلك الحرف التاء كأنه قال: سدت ثم أدغم الدال فى التاء، والدليل على ذلك قولهم

(١) المخصص - المجلد ١ جـ ٣: ٩٥.

في التحقير: سديسة بالسين[1]، وقالوا فى استخذ: إنهم أبدلوا السين مكان التاء فى اتخذ كما أبدلوا حيث كثرت فى كلامهم وكانت تاءين فأبدلوا السين مكانها وإنما فعل هذا كراهية التضعيف.

ويبدو -مما ساقه سيبويه- أنهم قد أبدلوها من أقرب الحروف بها وهي التاء لتقرب من الدال التي قبلها، وهى مع ذلك حرف مهموس كما أن السين مهموس وهما متشابهان في أكثر الصفات فصار التقدير: سدت فلما اجتمعت التاء والدال وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها في الهمس وأكثر الصفات ثم أدغمت التاء في أختها فقالوا: ست[2].

ونقل عن بعض العرب أنهم قد أبدلوها أيضا في موضع ليس فيه ضرورة ملجئة إليه، فقد قرأ ابن جني على محمد بن الحسن(*) عن أبي العباس أحمد بن يحيى:

يَا قَاتَلَ الله بَنِى السَعْلاَتْ عَمْرَو بن يَرْبُوع شَرار النَّاتِ
غَيْرَ أَعِفَّاءٍ وَلاَ أَكْيَاتِ(**)

يريد الناس، وأكياس، فأبدلت السين تاء لموافقتها إياها في الهمس والزيادة وتجاور المخارج[3].

---

(١) الكتاب ٢: ٤٢٨، سر الصناعة ١: ١٧١.

(٢) الكتاب ٢: ٤٢٨، سر الصناعة ١: ٢٠٩.

(٣) اللباب فى علل البناء والإعراب:

(*) محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم، ولد سنة ٢٦٥هـ، وسمع ثعلبًا وغيره، وتتلمذ عليه ابن جنى، توفى سنة ٣٥٣هـ.

(**) هذه الأبيات من شواهد النوادر ١٠٤، سر الصناعة ١: ١٧٢ وما بعدها -اللباب فى علل البناء والإعراب- مصورة برقم ٦٨٩ نحو -بمكتبة جامعة الإمام المركزية وقد نسبها بعضهم إلى علباء بن أرقم، والشعر هجاء لبنى عمرو بن يربوع ويقال لهم بنو السعلاة وذلك أنهم زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج سعلاة، أى غولا فأولدها أولادا، والنات يريد الناس وغير أعفاء: أى نزيهى العرض والأكياس: إما جمع كيس بسكون الياء وهو حينئذ وصف من كاس يكيس كيسا خف وتوقد، أو هو جمع كيس بالتشديد: جمع فطن، وقد أبدل الشاعر السين تاء لأن فى السين صغيرًا فاستثقله فأبدل التاء.

وقالوا: ختيت فى خسيس فأبدلت السين تاء.

وقد رأى بعضهم أن ذلك من قبيح البدل وإنما أبدل التاء من السين لأن في السين صفيراً فاستثقله فأبدل منها التاء، وهو من قبيح الضرورة[١].

ولسنا مع من قال بذلك، فقد حكى الأصمعي عن بعض العرب أنه قرأ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاس» فى جميعها بالتاء[٢].

ولا ضرورة أو قبح في قراءات القرآن، كما أن مثل ذلك الإبدال جائز في العربية للتقارب بين مخرجي الحرفين.

وقد حكى ابن خالويه أن هناك من زعم من أهل اللغة في كتب القلب والإبدال: أن العرب تقول في الناس: النات، وقوم أكيات، أي أكياس[٣].

وقد عزا بعضهم هذه الظاهرة اللهجية إلى أهل اليمن فيشمل ذلك ما أورده آخرون من أنها لغة لحمير أو قضاعة[٤] فجميعهم من القحطانيين اليمنيين.

٨- وتبدل هذه السين صادا فى بعض لغات العرب، وقد عقد سيبويه لمثل هذا الإبدال بابا فى كتابه: سماه «باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة نحو صقت، وصبقت والصلق، وذلك أنها من أقصى اللسان فأبدلت من السين أشبه الحروف بالقاف إطباقا ليكون العمل من وجه واحد وهي الصاد لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق[٥].

وقد عاملوا الغين والخاء مع السين معالمة القاف معهما إذ هما من حروف الحلق فهما بمنزلة القاف فأبدلوها صادا فقالوا في سالغ: صالغ، وفي سلخ: صلخ، ومثل ذا الإبدال أجروا الحكم على السين مع الطاء فقالوا: صاطع في ساطع

---

(١) النوادر ١٠٤ ألف باء - البلوى ٢: ٤٣١.

(٢) اللباب فى علل البناء والإعراب: مصورة برقم ٩٨٩ بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٣) شواذ ابن خالويه ١٨٣.

(٤) المزهر ١: ٢٢٢، الشواذ: ١٨٣ وانظر مجلة الدارة ع٤ س ٦ ص ١٦٠، من بحث للدكتور صلاح الدين حسنين عن الأصوات العربية - لعام ١٤٠١هـ.

(٥) الكتاب ٢: ٤٢٨، الوجيز في فقه اللغة ١٨٦.

فأبدلوا السين مع الطاء صادا لأنها من حروف الإطباق التي تقتضي تصعدا إلى أقصى الحنك وهي أولى بذا من القاف لقرب المخرجين فجميعها من الأصوات الأسنانية اللثوية المهموسة المطبقة.

وإنما يبدل الحرف من أشبه الأصوات به في كل شيء إلا الإطباق، وقد عزا سيبويه أشباه ذا الإبدال إلى: بني العنبر، وقال: إن الأعراب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السين على حالها[1].

وقد قرئ به قوله تعالى:[2] ﴿**كأنما يساقون، ويصاقون**﴾ [الأنفال: ١٦]، ﴿**مَسَّ سَقَرَ**﴾ [القمر: ٤٨] و﴿ وسخر، وصخر﴾ [الرعد: ٢].

قال أبو حيان:

وأصل السراط بالسين... وبالسين على الأصل قرأ قنبل ورويس وإبدال سينه «الصراط» صادا هي الفصحى، وهي لغة قريش وبها قرأ الجمهور في لفظ الصراط، وبها رسمت في المصحف الإمام[3] والسين في «الصراط» لغة عامة العرب[4].

٩- وهناك من العرب من يبدل السين زايا إذا وقعت بعدها القاف خاصة، ونقل بعضهم عنهم: زقر في «سَقَر» وفي «ومَسَ سَقَر».

وهناك من العرب من يميل إلى مثل ذلك الإبدال مع القاف أوغيرها في بعض ما نقل عنهم من كلام.

ونرى مثل ذلك فى تلك القراءة التي قرأ بها حمزة وأبو عمرو بن العملاء فيما رواه عنه الأصمعى فى قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط﴾ وقال بعضهم: ما حكاه الأصمعي في هذه القراءة خطأ منه إنما سمع أبا عمرو يقرؤها بالمضارعة فتوهمها زايا، ولم يكن الأصمعى نحويا فيؤمن على هذا[5].

---

(١) الكتاب ٢: ٤٢٨.

(٢) سر الصناعة ١: ٢٢٠.

(٣) البحر ١: ٢٥، الإتحاف ١٢٣، ١٩٩، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤٨.

(٤) الإتحاف ١٢٣.

(٥) كيف لا يؤمن الأصمعى على ذلك وقد كان حجة فيما ينقله ويرويه عن العرب ولما كان يعرف عنه من =

وحكى هذا الكلام أبو على عن أبـى عمـرو بن مجـاهد. . وذكر أبو جـعفـر الطوسى فى تفسيره للصراط:

أن الزاى: لغة لعذرة وكعب وبنى القين، وطيء.

وقال أبو بكر بن مـجاهد: وهذه القـراءة تشير إلى أن قـراءة من قرأ بين الزاى والصاد تكلف حرف بين حرفين وذلك صعب على اللسان وليس بحرف يبنى عليه الكلام، ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام فـصحاء العرب إلا أن الصاد أفصح(١).

ومن الباحثين من نسب هذه الظاهرة إلى قيس وبنى العتيق وكلب(٢).

١٠- وبعض العرب يبدلونهـا من الصاد أيضا، والنحاة العرب قـد اختلفوا فى الضابط لهذا الإبدال:

فمن ذاهب إلى أن ذلك يـأتى فيمـا إذا سكنت الصاد وبعـدها قاف فيـقولون: مزدوق فى مصدوق، ومزدوقة فى مصدوقة، وأزدقنى فى أصدقنى.

وأجازه آخرون فى هذه الصاد مطلقا سكـنت أم لا بشرط مجيء القاف بعدها، فقالوا: شاه زقعاء فى صقعاء، وزدق فى صدق(٣).

ومن الوجهين ما أشندوه:

وَدَعْ ذَا الّهَوَى قَبْلَ الْقِلَى تَرْكَ ذِى الّهوَى مَتِيْن القِوَى خَـيّرٌ من الصُّوْمِ مُزْدَرا(*)

= التحرج في مسائل اللغة حتى إنه كان لا يتعرض بالكلام لما له نظير في كتاب الله، ولا يستغرب ذلك من أبي على فإنه قد كان مغاليا في المعـيارية وهو القائل: لأن أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية أهون عليّ من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية.
فما ذنب الأصمعى إذن؟

(١) حجة القراءات ٨٠، البحر ١: ٢٥.

(٢) الأصوات العربية د. صلاح الدين حسنين- مجلة الدارة ع ٤ س ٦ - شعبان عام ١٤٠١هـ - ص ١٦٠.

(٣) بغية الآمال ٢: ٦٨١، سر الصناعة ١: ٢٠٨.

(*) البيت قد أورده ابن جني في سر الصناعة ١: ٢٠٨، ولم ينسبه هو ولا غيره. والقلى: البغض، والصوم: القطيعة والهجر، والقوى: جمع قوة وهي معروفة ويقصدون بها الطاقة، ومتين القوى: شديد القوى.
والشاهد فيه قوله مزدرا: حيث قلب الصاد زايا وهى لغة لبعض العرب.

يريد: مصدرا[1].

وقال الآخر:

يَزِيْـدُ -زَادَ الله في خَـــــيْـــــرَاتِه حَـــامِـي نِزَارٍ عِنْدَ مَـــزْدُوقـــاتِه[*]

أي: مصدوقاته[2].

أما سيبويه ومن تابعه:

فـقد ذهبـوا إلى أن هذا الإبدال شائع في المـصادر السـاكنة إذا كانت بعـدها الدال، وذلك نحو: مـصدر، وأصدر، والتصـدير، لأنهما قد صـارتا في كلمة واحدة كـما صارت مع التـاء فى كلمة واحـدة فى افتعل» فلـم تدغم ولم يبدل لأنها ليسـت بمنزلة: اصطبر فلم يجدوا بدا من مضـارعتها أشـبه الحروف بالدال من موضـعه وهي الزاى لأنهـا مجـهورة غيـر مطبقـة ولم يبدلوها زايا كـراهية الإجحاف بها للإطباق: قال وسمعنا العرب الفـصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلـوا الإطباق ذاهبا فـى الإدغام، وذلك قولك في الـتصدير: التـزدير، وفي الفـصد: الفـزد، وفي أصدرت: أزدرت، وهي لغـة لعذرة وكـعب وبني القين وطيء أيضا[3].

وإنما دعـاهم إلى أن يقـــربوها ويبـدلوها أن يكون عـمـلُهم من وجـه واحـد وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد.. والبيان عربي.

فإن تحركت الصاد لم تبدل لأنه قد وقع بيـنهما شيء فامتنع من الإبدال إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة، ولكنهم قد يضارعون بها نحو صدقت.

---

(١) سر الصناعة ١: ٢٠٨.

(٢) سر الصناعة ١: ٢٠٨.

(٣) البحر ١: ٢٥، شرح المفصل ١: ٨٢.

(*) هذا البيت قد أنشده ابن جنى فى سر الصناعة ١: ٢٠٨، ولم يعـزه إلى قائل معروف.. وخيراته: جمع خـيرة، وهو ضـد الشـر، وحامى: أى المـدافع الزائد، ونزار: هو ابن مـعد عـدنان، والشـاهد فيـه: مزدوقاته.. ويقصد مصدوقاته: فقلب الصاد زايا.

والبيان فيها أحسن، وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو مصادر والصراط[1].

ويتضح مما سبق: أن سيبويه يرى أن إشمام الصاد الساكنة زايا إذا كان بعدها دال شائع، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف[2].

وربما فعل ذلك بالصاد وإن لم تسكن ويقع بعدها دال.

وحكي عن بعضهم أن إشمام صاد «الصراط» زايا لغة قيس ومنهم من عزاها إلى قبيلة كلب.

وهكذا نرى أن هذه الظاهرة اللهجية «قلب الصاد وإشمامها زايا» قد شملت رقعة أكثر مما أراد لها من عزاها إلى كلب خاصة إذ يمكن أن تكون ظاهرة لهجية شاعت بين عدة أحياء من بادية العرب خصوصا وأن إبدال الزاى «وهو حرف مجهور منفتح من صوت الصاد المهموس المطبق» يتطلب التأني على غير عادة أهل البدو في نطقهم. فكيف حدث هذا؟

ولتفسير هذه الظاهرة نقول:

١- إن الصاد لما سكنت وكان بعدها دال أبدلت الصاد أو أشمت زايا لتوافق الدال فى المخرج إذ هما صوتان متفقان فى الجهر والفتح، وإن كانت الدال أشد جهراً فَقُرِّب الصوتان من بعضهما كما فعلوا فى «افتعل» من زجر وما تفرع منه فقالوا ازدجر بإبدال التاء دالا لتوافق الزاي، وهذا ظاهر كلام سيبويه[3].

٢- إن طابع البيئة البدوية يقتضي الجهر بالصوت قصدا إلى الوضوح -كما بينا- فاختارت من الأصوات أبينها وأوضحها فكان أن مالت إلى الزاى المجهورة بدلا من الصاد خاصة وأن المبرر لذلك الإبدال موجود وهو العلاقة بين مخرجي الحرفين والتوافق في الجهر والفتح.

ومن العرب من يبدل الصاد تاء، على سبيل المخالفة فيقول في اللصوص،اللصوت بالتاء، ويقول في لص: لصت، وقالوا فى الجمع[4]. لصوت، قال شاعرهم:

---

(١) الكتاب ٢: ٤٤٦ وما بعدها.

(٢) الإتحاف ١٩٣، ٨٠، ٢٢٠، ٢٣٧، ٢٧٧، ٢٤٩. (٣) الكتاب ٢: ٤٢٦..

(٤) شرح المفصل ١٠: ٤١، سر الصناعة ١: ١٧٣، جمهرة اللغة ١: ١٠٣.

فَتَرَكْنَ نَهْلاً عُيَّلاً أَبْنَاؤُها وَبَنِي كِنَانَةَ كَاللُّصُوتِ المُرَّدِ(*)

ونحو قول الآخر:

فَأَفْسَدَ بَطْنَ مَكَّةَ بَعْدَ أُنْسٍ قَرَاضِيَةٌ كَأَنَّهُمُ اللُّصُوتُ(**)

ويرى بعض المحدثين أن التاء ههنا أصلية، وقد جاء هذان البيتان ونحوهما على الأصل، وما جاء ولامه الصاد فهي مبدلة عن التاء لأن الكلمة يونانية ودخلت إلى العربية عن طريق السريانية فتطورت بقلب تائهًا صادًا[1].

وهذا يناقض رأي علماء العربية في أصلية الصاد وأن التاء جاءت بدلا منها في بعض لهجات العرب[2] غير المستحسنة.

ومهما يكن فلعل لتباعد المخرج بين صوتي الصاد والتاء أكبر الأثر في عدم تحقق هذا الإبدال فالحرفان من الأصوات اللثوية المهموسة إلا أنهما يختلفان في درجته، والمعروف أن التاء شديد مهموس بخلاف الصاد الرخوي، كما أنهما يختلفان فى الصفة فالتاء حرف مستفل منفتح بينما الصاد حرف مستعل مطبق.

وهذا ما يدفع باللسان أن يصطدم بالحنك ويلتقي به التقاء محكمًا فيحبس معه النفس بخلاف صوت الصاد إذ للرخاوة التي يتمتع بها أثرها في عدم

---

(١) الأصوات العربية د. صلاح الدين حسنين - مجلة الدارة ع٤ س٦- شعبان ١٤٠١هـ ص ١٥٣ وما بعدها.

(٢) الوجيز في فقه اللغة ١٨٦ وما بعدها.

(*) نسب بعضهم هذا البيت إلى عبد الأسود بن عامر بن جوين الطائي، وهو من شعراء الجاهلية ونهد وكنانة: قبيلتان، ويروى جرم بدل جرم. والعيل: جمع عائل. واللصوص: جمع لص وهو السارق، والمارد: المتمرد. وأصل اللصوت: اللصوص على رأى علماء العربية فأبدلت الصاد تاء وقالوا: إن ذلك لغة لبعض العرب - وقد أوضحنا ذلك في النص - وقد أورد ابن يعيش هذا البيت في شرحه لكنه أنشد كهلا بدل نهلا ونهدًا.

(**) ورد البيت في الصحاح منسوبا إلى الزبير بن عبد المطلب من ثلاثة أبيات هي:

ولكنا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت

وصبر في المواطن كل يوم إذا خفت من الفزع البيوت

فأفسد بطن مكة بعد أنس قراضية كأنهم اللصوت

وأصل اللصوت: اللصوص إذ هو مشتق من اللصوص وهو تضايق ما بين الأسنان كأن اللص يضايق نفسه ويصغرها لئلا يرى. الصحاح: ١: ٣٦٤ مادة لصت.

احتكاك اللسان بالحنك احتكاكًا تامًا، ومن هنا يتسرب معه الهواء، ويحدث ما يشبه الصفير[١]. إضافة إلى أن النطق بالصاد يحتاج إلى ذهاب اللسان إلى الحنك الأعلى وقرب التقائه به ليتحقق له صفتا الإطباق والاستعلاء وهذا بخلاف حرف التاء وقد عُزِيَتْ هذه الظاهرة اللهجية إلى طيء وربيعة وبعض الأنصار وبعض تميم وأهل اليمن[٢].

٩- وقد تبدل من كاف المؤنثة المخاطبة في لغات بعض قبائل العرب، وهي المعروفة بظاهرة الكسكسة، وتعني: إلحاق أو إبدال كاف المؤنثة سينا في الوقف[٣].

والغرض من ذلك: خشية الالتباس بكاف المذكر لو وقف عليها بحذف الحركة التي تفرق بين المذكر والمؤنث، ومن ثم تركوا السين في الوقف ليكون ذلك علامةً للمذكر فيقولون: اكرمتكس في الوقف فإذا وصلوا لم يؤت بها لأن حركة الكاف إذن كافية في الفصل بين الكافين[٤].

ونقل البغدادي: أسلوبًا آخر في استعمالها فقال: وأما بكر فتختلف في الكسكسة، فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما فعل التميميون في الشين، وهم أقلهم، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها[٥]. وقد عزاها ابن فارس إلى ربيعة[٦].

وعزاها المبرد نقلا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة عن رجل من جرم إلى بكر[٧] في قصة مشهورة، ولعل بكرًا هذه هي بكر بن وائل التي نسبها إليها الرضي[٨]، ونسبت إلى تميم أيضًا[٩].

ونسبها ثعلب إلى هوازن[١٠]، وكذا فعل ابن جني أيضًا[١١]، وجعلها السيوطي في ربيعة ومضر[١٢].

---

(١) الوجيز في فقه اللغة ١٨٦ وما بعدها.

(٢) جمهرة اللغة ١: ١٠٢، المذكر والمؤنث - للفراء ٢٥ وما بعدها.

(٣) الكتاب ٢: ٢٩٦.

(٤) الصاحبي ٢: ٣٤، ٣٦، شرح الكافية ٢: ٤٠٩.

(٥) المزهر ١: ٢٢١، الخزانة ٤: ٥٩٤.

(٦) الصاحبي ٣٤.

(٧) الخزانة ٤: ٤٩٥.

(٨) شرح الكافية ٢: ٤٠٩.

(٩) هامش شرح الكافية ٢: ٤٠٩.

(١٠) الخزانة ٤: ٥٩٦، وانظر ألف باء - البلوي ٢: ٤٣١.

(١١) الخصائص ٢: ١١.

(١٢) المزهر ١: ٢٢١.

وهذا الاختلاف بين أئمة العربية في نسبتها إنما يدلنا على شيوع هذه الظاهرة اللهجية وتمكُّنِها من ألسنة جماعات لا بأس بها من أبناء قبائل العرب.

ومن جميع تلك الروايات نرجِّح أن هذا الإبدال أو الإلحاق - كما نص عليه بعضهم- كان غالبًا على ألسنة بعض قبائل البادية إذا وضعنا في الاعتبار أنه ليس هناك أي سبب لإلحاق السين بعد كاف المؤنثة أو إبدالها منها ولا قيمة إذ أن السين والكاف صوتان مهموسان ومنفتحان إلا أنهما مختلفان في المخرج فالكاف صوت طبقي شديد أما السين فهو لثوي رخوي[1].

ولعل ما دعاهم إلى ذلك هو واحد من أمرين:

١- إما التأكيد على كسر حركة الكاف المؤنثة قصدًا إلى المحافظة على حركتها حتى لا تلتبس بكاف المذكر حين تخفى في الوقف[2].

ومقتضاه أن ذلك مطرد في كاف المؤنثة المخاطبة ليس إلاّ، وهو ما يدل عليه المجيء بالسين بعدها من ناحية -كما أوضحنا- وربما ورد مثل ذلك القلب في الكاف الأصلية كحكومي وعسكري بيد أنه لا داعي إلى تعميمها لأن الشواهد عليها من كلامهم لا تكاد تذكر من ناحية أخرى.

إضافة إلى أن النقل عن أئمة اللغة والنحو قد خصصها بهذه الناحية كما يفيده ظاهر أقوالهم في تعريفها.

٢- وإما أن ذلك قد نشأ وليد الحاجة في بيئة اجتماعية تحرص على تمييز الذكر عن الأنثى، وهي ما نرجح أنها بيئة البادية - لذا ألحقوا تلك السين ليفترق المذكر عن المؤنث حسب عرفهم الاجتماعى.

****

(١) الوجيز في فقه اللغة ١٨٧، ١٩٤.

(٢) الخزانة ٤: ٥٩٤.